# المؤثرات الخارجية في الحركة الإصلاحية الجزائرية

**أ. هارون الرشيد بن موسى**
**مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة**
**الأغواط - الجزائر**

**الملخص**:

إن النجاح الذي حققته الحركة الإصلاحية الجزائرية داخليا وخارجيا تجعل منها حركة جديرة بالدراسة بداية من جذورها ثم نشأتها إلى العوامل المؤثرة فيها، ونظرا لما لهذه الأخيرة من أهمية ارتأينا أن نبين في هذا المقال المدارس الإصلاحية المؤثرة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وطبيعة هذا التأثر والعوامل المساعدة على ذلك.

وقد تضمن المقال العناوين التالية:

**عوامل التأثير:** الرحلات – الدراسة –الشعور بالمصير المشترك

**المدارس الإصلاحية المؤثرة في جمعية العلماء المسلمين:** الزيتونة- الأزهر - القريين

**الاتجاهات الحديثة في التجديد الإسلامي:** حركة علماء الشام- مدرسة المنار

***Abstract*** **:**

*The success of the Algerian reformation movement internally and externally make it worthy of consideration of the beginning of the movement from its roots and origins to the factors that affected it, and because of the importance of the latter we decided to show in this article reformist schools that affected the Algerian Muslim Scholars Association, and the nature of this vulnerability and co-factors in it.*

*The article was the following addresses*:

*Impact*: *trips - study -common destiny factors*

*Reform schools that affected the Algerian Muslim Scholars Association* : *Al Zaytouna-*

*Al Azhar - Alqrien*

*Recent trends in the Islamic Renewal* : *Al sham scientists Movement - Al Manar School*

اتهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتقليدها لمناهج إصلاحية مشرقية مستندين في ذلك إلى أوجه الشبه العديدة الموجودة بينها وبين جمعية العلماء لكن ابن باديس ينفي والدليل الآليات والوسائل التي ابتكرها في عملية التغيير. وهذا لا يعني أبدا أن جمعية العلماء كانت عصامية فقد نوه ابن باديس ببعض المدارس الإصلاحية التي كان لها الأثر الكبير ليس على الحركة الإصلاحية الجزائرية فقط، بل على سائر الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي

فماهي أهم الحركات الإصلاحية المؤثرة في حركة علماء الجزائر؟

يمكن تصنيف العوامل المؤثرة في جمعية العلماء المسلمين إلى:

1- **عوامل داخلية** تتمثل في مجهودات المصلحين الأوائل من أمثال : عبد القادر المجاوي (ت1914م)،ابن سماية(ت1933م) ،ابن الموهوب (ت1989م)…. والتي كانت بمثابة الإرهاصات الأولى لظهور حركة الإصلاح الجزائرية.

2- **عوامل خارجية** تتجلى في سائر المناهج الإصلاحية التي احتكت بها النخبة الجزائرية واستفادت منها، ولقد كان للمدارس التقليدية المذهبية: الزيتونة[1] والقرويين[2] والأزهر[3] الأثر البالغ على النخبة الجزائرية، و يرجع الجزائرية ويرجع ذلك الى العوامل التالية:

## الدراسة

فبحكم افتقار الجزائري لكليّة إسلامية كبرى كان جل الطلبة الجزائريين يزاولون دراستهم في هذه الكليات، وخاصة الزيتونة التي تتلمذ فيها جل أعضاء الجمعية كابن باديس والعربي التبسي ومبارك الميلي ..........الخ

وكذلك القرويين الذي تتلمذ فيه العديد من أعلام الجمعية كالشيخ العباس والشيخ معط الله وغيرهم، بالإضافة الى الأزهر الذي كان قبلة استقطبت بعض أعضاء الجمعية مثل الشيخ العربي التبسي .

ونظرا لهذا الاتصال الوثيق والاحتكاك المباشر بين النخبة الجزائرية وهذه الحركات الإصلاحية، فمن الأكيد أن تكون هذه الأخيرة قد تركت بصماتها على النخبة الجزائرية لأن الأستاذ بإمكانه أن يغرس في نفس تلميذ ما شاء من الأفكار والتوجهات.

وقد صور أحد الباحثين المعلم بمصمم مناظر حيث يدخل إلى غرفة خالية فيخلق فيها مناظر وجوا تثير أحاسيس الطلاب بصورة كافية، لكن دون أن يطغى عليها ذلك على اهتمام الطالب في مراحل تعليمة الدينامكية[4]، وتفيد هذه الجملة مدى تأثير المعلم على التلميذ، حيث شبه المعلم بمصصم المناظر والطالب بالغرفة الخالية فبإمكان المعلم أن يصمم ما شاء من المناظر في هذه الغرفة وهذه كناية عن مدى قدرة الأستاذ على التأثير في التلميذ، فيطبعه بما شاء من الأفكار والتوجهات والطالب بدوره لا يبقى حبس هذه التصاميم بل بإمكانه أن يثور عليها وخاصة عندما يصل الى مراحل تعلمية متقدمة وهو ما حصل بالفعل عندما ثار ابن باديس على الوسط الزيتوني.

وبالإضافة إلى المدارس التقليدية المذهبية توجد الاتجاهات الحديثة في التجديد الإسلامي والتي كان لها أثرها على حركة علماء الجزائر أيضا ويرجع ذلك الى:

### الرحلات

كانت معظم رحلات النخبة الجزائرية إلى المشرق العربي، فعلاوة على حج البيت الله الحرام هناك فوائد أخرى مرجوة من هذه الرحلات، كمشاهدة ما كان هناك من مظاهر التطور الفكري والحضاري والاتصال برجال الشرق وعلمائه والإلمام بعمق ودقة و بأبعاد الحركة الاصلاحية .

ومن المناطق التي كانت محل الاهتمام النخبة الجزائرية هي منطقة الشام حيث زارها كل من ابن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي وللعلم أن هذه المنطقة كانت قبلة للعديد من المصلحين ذوي الأصول الجزائرية .

### الشعور المشترك

إن تشابه الوضع السياسي بين العديد من أقطار الوطن العربي ساعد في تدعيم أواصر التعاون بينهم ونبذ كل أشكال الفرقة والوقوف صفا واحدا لمواجهة الخطر الأجنبي، ولقد أدت السلطات الفرنسية من حيث لا تدري دورا في تعميق التواصل بين أقطار الوطن العربي فقد ضيقت على العلماء ورجال الدين منذ بدء الاحتلال مما جعل مجموعة منهم تأخذ طريق تونس والمغرب ودول المشرق عشية الحرب العالمية الأولى عام 1914م هربا من التجنيد الإجباري وسعيا إلى تعميق معارفهم الدينية ودراسة العربية وكان من بينهم ابن باديس و الإبراهيمي والعقبي.

هذه بعض العوامل الخارجية المؤثرة في الحركة الإصلاحية الجزائرية ومن أهم المدارس التي تأثرت بها الحركة الإصلاحية الجزائرية المدارس التقليدية المذهبية ( الزيتونة والأزهر والقرويين).

### أ-المدرسة الاصلاحية الزيتونية

تعد المدرسة الإصلاحية الزيتونة من المدارس التي لها بالغ الأثر في حركة علماء الجزائر للعوامل التالية :

1- **الدراسة**

فجل الطلبة الجزائريين زاولوا داستهم في هذه الكلية وتخرجوا من هذه المدرسة بدءا من ابن باديس الذي تتلمذ على يد كل من : محمد النخلي القيرواني والأستاذ محمد الطاهر بن عاشور والأستاذ محمد الخضر حسين والأستاذ محمد الصادق النيفر والشيخ سعيد العياضي والأستاذ محمد بن الحسين والشيخ المفتي النجار والأستاذ البشير صفر[5].....الخ

2- **الرحلات**

ساهمت بدورها في تدعيم التفاعيل الثقافي بين تونس والجزائر ،ومن بين الرحلات نذكر :

#### رحلة ابن باديس الى تونس

والتي قام بها سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وألف فشارك تونس في إحياء ذكرى وفاة الشيخ البشير صفر الذي كان من أساتذته أيام الطلب، وألقى خطابا حلل فيه شخصية الراحل وأبرز منزلته العلمية بمنطق وحجة كما تحدث عن دوره في الحركة الفكرية في العالمين العربي والإسلامي، وهناك أتيح للشيخ أن يتقابل مع أهم الشخصيات السياسية والفكرية والعلمية بتونس، وكانت جريدة النهضة التونسية تحدثت عن حفل الإحياء الذي شارك فيه الشيخ فكتبت عن كلمته التي ألقاها معجبة بها معظمة لصاحبها "وألقى خطابا بفصاحة نادرة وامتلاك لناصية الموضوع أثر كثيرا على الحاضرين"[6]

## رحلة الشيخ الطيب المهاجي[7] الى تونس

وقد قام بها خلال سنة ثمان وثلاثمائة وألف واستغرقت زهاء أسبوع، وقد أتيح له هناك أن يتصل بجل علماء تونس الزيتونيين منهم و الخلدونيين معا ومنهم الشيخ بيرم والشيخ الصادق نيفر ودارت بينه وبين بعض هؤلاء مناقشات ومحاورات علمية، ولدى إيابة مر بابن باديس بقسنطينة فجرت بينهما محاورات علمية مفيدة، من أهم ما يذكر منها تعليقه على رسالة التوحيد لمحمد عبده وهي الرسالة التي قررها ابن باديس لطلابه.[8]

ومن الأساتذة الذين ذكرهم ابن باديس والذين كان لهم الأثر البالغ في تكوينه هو الشيخ محمد النخلي[9]، فقد كان هذا الأخير من المتأثرين بأفكار رجال الإصلاح في المشرق منذ شبابة الباكر أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والذين كانوا يطالبون بتحرير الفكر الإسلامي من التقليد ويدعون المسلمين إلي الأخذ بأسباب النهضة والتقدم واقتباس العلوم الحديثة من الأمم الغربية التي استطاعت أن تحقق نصيبا وافرا من التقدم والازدهار وكان حر التفكير لا يقدس أقوال القدماء بل ينتقدهم ويبن ما في أقوالهم من زيف ومخالفة للمعقول، فقاومه

المتزمتون الذين يرون الحق في ما قاله الأسلاف ولا يستطيعون إعمال العقل والخضوع لمقاييسه واتهموه في عقيدة لأن في نظرهم تقرير ما يمله العقل زندقة وانحراف.[10]

وكان لا يترك مسالة تمر وقد أبدى فيها الأقدمون أحكامهم، دون أن يكون له موقفة الخاص منها مستدلا بالحجة والبرهان ومقدما أقوم الحلول وأقربهما إلى المنطق والصواب [11].

وقد غرس الشيخ النخلي هذه الخصلة في تلميذه ابن باديس عندما ذكر له تبرمه من أساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله فقال له :"اجعل ذهنك مصفاة لهذا الأساليب المعقدة وهذه الأقاويل المختلفة وهذه الآراء المضطربة ليسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح "[12] فبهذه الكلمة استطاع الأستاذ النصوح الشيخ محمد

النخلي أن يشفي غليل تلميذه ابن باديس ويوضح له المنهج الأقوم في التعامل مع مختلف الآراء وذلك بأن يعرضها على عقله فما وافقه قبله وما لم يوافقه لم يقبله، والشيخ ابن باديس لم يقصر هذا المنهج على تفسير القرءان الكريم فقط بل شمل كافة منهجه الإصلاحي، فهو مثلا يرفض مناهج المتكلمين والفلاسفة في إثبات العقائد، كم أنه لم يسلك مسلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شدته وتصلبه تجاه المخالفين، وما عدوله عن عقلانية محمد عبده إلا دليلا على ذلك أيضا .

ومن أعلام الزيتونة الذين تأثر بهم ابن باديس أيضا تلميذ الشيخ محمد النخلي الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور[13].

وقد كان أديبا مبدعا ونافدا ملما بالمذاهب الأدبية من العوامل التي ساعدته على الاهتمام بالأدب والتأليف فيه هو ثقافته الواسعة اللامحدودة التي شملت عدة فنون تلقاها عن جهابذة عصره وكذلك إحاطته الواسعة بالمؤلفات الأدبية الكلاسيكية شعرا ونثرا كالمزهر للسيوطي (ت911ه) والحماسة بشرح المرزوقي (421ه)[14]............الخ

وقد غرس الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حب الأدب في تلميذه ابن باديس، إذ كانت دروس الشيخ تخلق في نفس تلميذ نوعا من الاكتشاف المبهم والعميق للذات، وذلك موقف عبر عنه بن باديس بفرح وامتنان أصيلين حين قال:" وإن أنسى فلن أنسى دروسا قرأتها من ديوان الحماسة عن الأستاذ ابن عاشور وكانت من أول ما قرأت عليه فقد حببني في الأدب والتفقه في ديوان كلام العرب، وبث في روحا جديدة في فهم المنظوم والمنثور وأحيت في الشعور بعز العروبة والاعتزاز بها كما اعتز بالإسلام.[15]

وقد أصبح ابن باديس نفسه يدرس ديوان الحماسة لطلابه على غرار أستاذه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

وقد خطا ابن باديس هذه الخطوة لتنمية الملكات الأدبية عند تلاميذه، لأنه أدرك مدى فعالية الأدب الراقي و نجاعته في التأثير في الجماهير، وبالإضافة إلى تدريس أمهات الكتب عملت الجمعية على تربية ملكة الذوق الأدبي عند الشباب وتقديمهم لمنصات الخطابة وميادين الكتابة وتشجيعهم على ارتجال الكلام دون أو تلعثم، بحيث قومت العديد من الألسنة وأخرجت العديد من الخطباء المفوهين وظلت تتحكم في عواطف الجماهير وتتلاعب بعقولهم وتقنعهم بعدالة القضايا التي تدفع عنها المبادئ التي تدعوا إليها.

وبالرغم من تأثر ابن باديس بأستاذه ابن عاشور إلا أن هذا لم يمنعه من انتقاده خاصة في فتوى القراءة على الأموات بقوله:

" فهل ابن عاشور الملقب بشيخ الإسلام هو ابن عاشور أستاذي الذي أعرف ؟لا ذلك رجل آخر مضى قضي عليه وأقبرته المشيخة"[16].

وعلى العموم فإن التجربة الزيتونة كان لها بالغ الأثر في شخصية ابن باديس ويمكن تخليص هذا التأثير في النقاط التالية :

1- إن أقوال العلماء المسلمين وخاصة المتأخرين منهم أقوال رجال يصيبون ويخطئون وليس من اللازم على الباحث أن يأخذ أقوالهم مأخذ التسليم.

2- ان الأصول في العلوم الإسلامية يجب أن تكون عمدة القارئ من دون الكتب المؤلفة عنها المستخرجة منها فإن هذه الأصول هي الينابيع السليمة أما الكتب الأخرى فإنها تمثل صدى لأهواء أصحابها والأهواء لا تحصر والخلافات فيها بينهم لا تنتهي فهي من ثمة ترهق دارسها وتدخل الشك في نفسه بلا طائل.

3- إن العقل يجب أن يظل أداة رئيسة في الحكم لدى الباحث وبه يستطيع أن يميز الصالح من الطالح والأصل من الزائف لكن دون أن يتجاوز حدوده المعروفة[17].

### ب-مدرسة القرويين

من المدارس التي لها على حركة الإصلاحية الجزائرية وذلك للعوامل التالية :

### الدراسة

من الشيخ الذين تتلمذوا في القرويين نذكر : العباس بن الحسين[18] ومن أهم أساتذته العابد بن أحمد ابن سودة القرشي وأحمد بن العربي وعبد القادر بن محمد السودي القرشي.[19]

### الرحلات

ساهمت بدورها في تدعيم التفاعيل الثقافي بين تونس والجزائر ومن أهمها نذكر:

### رحلة المهاجي إلى المغرب

قام المهاجي برحلة إلى فاس سنة ست والربعين وتسعمائة وألف للهجرة وأثناء ذلك شهد مجلس قراءة صحيح البخاري الذي يشترك فيه كل عام أربعون عالما، وقد كان لهذه الرحلة العلمية أثر عظيم في نفس المهاجي وفي سلوكه العلمي من بعد ذلك[20].

### ب رحلة حمزة بوكوشة[21] إلى المغرب

زار حمزة بوكوشة المغرب سنة ثمان أربعين وتسعمائة وألف ,وعلى الرغم من أن زيارته هذه لم تكن من جنس رحلة ابن باديس الشهيرة الى تونس حيث كانت زيارة حمزة بوكوشة حرة شخصية لا غير فإنه مع ذلك حاول أن يتصل بشخصيات مغربية علمية كثيرة وتبادل معها الرأي حول النهضة الثقافية والوطنية في الجزائر، ورسم لبعض المغاربة صورة صحيحة عن الجزائر[22] .

وأما بالنسبة لابن باديس فإننا نجدة يتألم حين امتنعت الإدارة الاستعمارية عن السماح له حضور أربعينية الشيخ المصلح أبي شعيب الدكالي فيذكر في تألم باد وتحت عنوان :

(**الاستعمار يحاول قطع الصلة بين الإخوان** )" لما مات الإمام المصلح العلامة الحافظ الوزير الكبير مولانا أبو شعيب الدكالي فخر الأفارقة والمغرب الأقصى، كان من أقل حقوقه علينا أن قامت جماعة من إخواننا المغربة بإقامة حفلة تأبين في أربعينية وفاته، ودعت صاحب هذه المجلة لحضور هذه الحفلة باسم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فلبى الدعوة ووجه للحكومة طلب رخصة السفر فسكتت عنه مدة ومع قرب أجل الحفلة جدد الطلب ثانية فجاءه الجواب بالمنع البات"[23]

ومن علماء القيروان الذين أشاد بفضلهم ابن باديس الأستاذ تقي الدين الهلالي، ومما جاء في قوله "فالأستاذ الهلالي رجل عالمي واسع النظر واقف على أحوال الشرق والغرب لذلك كان ما يقرره في بحوثه من حقائق يأتي ناضجا مفيدا ومن حسن الحظ أن قراءنا يقدرون رجالهم كما نقدرهم وكل ما يكتبه الهلالي وأضرابه في الفتح يأتي بالفائدة المرجوة منه والحمد لله"[24]

## ج-المدرسة الأزهرية

تعد من المدارس الإصلاحية التي تأثرت بها حركة علماء الجزائر أيضا للعوامل السابقة :

الرحلات : قام أعضاء الجمعية برحلات إلى المشرق، وعرجوا على مصر من أهمها نذكر:

### أ- رحلة ابن باديس

لم يذهب باديس إلى المشرق يقصد الحج إلى بيت الحرام فقط كما كان يتوهم البعض بقدر ما يمم ربوع الشرق من أجل الاتصال برحلة وتوسيع افقه العلمي والاطلاع على واقع الحركة الإصلاحية هناك التي على الرغم من أ ن أباها محمد عبده قد قضى نحبه فإن عقابيل من أفكاره كانت تشع الفكر الإسلامي وتضيء جادته، وكانت كانت تبرح ماثلة قوية في الشيخ الونيسي بالحجاز، والشيخ البيطار بالشام والشيخ رشيد رضا والشيخ بخيث بمصر .

### ب- الورتلاني[25]

حل الشيخ الفضيل الورتلاني بالقاهرة سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف حيث قام هناك بنشاط سياسي ضخم فمن ذلكم أن أسس أو أسهم بجهد مكثف في " الهيئة العليا للدفاع عن الجزائر " سنة اثنين وأربعين وتسعمائة وألف "وجمعية الجالية الجزائرية" وجبهة الدفاع شمال أفريقيا التي تولى تسييرها شخصيات جزائرية الشيخ محمد الخضر حسين الطولقي الأصل (شيخ الأزهر يومئذ) رئيسا والأمر مختار (من أحفاد الأمير عبد القادر ) نائبا للرئيس والورتلاني كاتبا عاما لهذا المنظمة "[26]

ويقينا فقد كان لزيارة الورتلاني لهذه البلدان العربية واتصاله بشخصياتها ورجالها وكتابته أعدادا ضخمة من المقالات في صحفها السيارة، وإلقائه خطبا في المجالس الشعبية والرسمية أثر طيب على القضية الجزائرية من جهة، وإسهام خصب في التفاعل الثقافي والأدبي بين الجزائر والمشرق العربي من جهة أخرى.

### الدارسة

يوجد العديد من أقطاب الجمعية الذين درسوا في الأزهر مثل الشيخ العربي التبسي الذي درس على يد أكابر العلماء هناك منهم : الشيخ يوسف الدجوي والشيخ عبد الوهاب النجار ومصطفى المراغي ومحمد شاكر وعبد الرحمن قراعه وحسنين مخلوف وحسين والي وسيد المرصفي وغيرهم، وقد يكون هذا الاتصال بين العلماء الجزائر وعلماء الأزهر سببا في استفادتهم منها ونهلهم من منبعها وتأثرهم بها.[27]

ومن العلماء الأزهريين الذين أشار إليهم ابن باديس الشيخ محمد بخيت المطيعي[28] وعن علاقته به يقول :"لما رجعت من المدينة المنورة على ساكنها وآله الصلاة والسلام سنة 1332هـ جئت من عند شيخا العلامة الشيخ حمدان الونيسي المهاجر إلى طيبة والمدفون بها رحمه الله، جئت من عنده بكتابة إلى الشيخ بخيت وكان قد عرفه بالإسكندرية لما مر بها مهاجرا، فعرجت

على القاهرة وزرت الشيخ بخيت بداره بحلوان مع صديقي الأستاذ إسماعيل جعفر المدرس اليوم بالأزهر فلما قدمت له كتاب شيخنا حمدان قال ( ذاك رجل عظيم ) وكتب لي إجازة[29] في دفتر جائزة بخط يده رحمه الله وجازاه هنا وعن العلم والدين خير ما يجزي العاملين الناصحين "[30] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة منزلة الشيخ محمد بخيت في نظر ابن باديس واعتبار آرائه ومواقفه حجة ينبغي السير عليها .

وقد كان الشيخ محمد بخيت من المؤيدين لمحمد عبده في انكار البدع والمحدثات في الدين إلا أنه يعارضه في عدة نواحي من بينها وقوفه الى جانب تلميذه قاسم أمين في كتابه تحرير المرأة ورد عليها وقال : بأنهما خرجا عن جادة الصواب وتجاوزا حدود الشرع [31] وهو برأيه هذا ينتمي الى المدرسة السلفية التي يمثلها ابن باديس ومحمد رشيد رضا .

وخلاصة القول في ما يخص علاقة الحركة الإصلاحية الجزائرية بغيرها (تأثرا) إن هذه الأخيرة لم تقتصر على التأثر فقط بل كان فيه تأثر وتأثير، أخذ وعطاء، مد وجزر، حرمان وإشباع.

فالعلماء الجزائريون أثناء دراستهم بالزيتونة والأزهر والقرويين، وأثناء زيارتهم لمناطق شتى من العالم الإسلامي لم يذهبوا ليأخذوا فقط، وإنما استفادوا وأفادوا في نفس الوقت .

والدليل على ذلك أن الشيخ عبد الحميد بن باديس أثناء زيارته للحجاز ألقى درسا بالمدينة المنورة على مشهد كثير من المسلمين وحضره حمدان الونيسي[32].

ونفس الشيء بالنسبة للشيخ البشير الإبراهيمي عندما رحل إلى المشرق خلال سنة ثمان وتسعمائة وألف واستقرت به عصا الترحال بربوع الحجاز وبالمدينة بالذات كان يلقي محاضرات ودروسا يحضرها الناس، وكان أثناء ذلك لا يفتأ يناظر بعض العلماء الحجازيين ويناقشهم في

آرائهم وحتى عندما يمم وجهه شطر الشام واستقر بدمشق انتصب للتدريس هناك بالمدرسة السلطانية التي كانت تشبه المعاهد العليا[33].

ولم يكتف العلماء الجزائريون بهذا الحد، بل أثبتوا مكانتهم وأظهروا تفوقا على أقرانهم وإلا كيف نفسر ثورة الشيخ عبد الحميد بن باديس على أستاذه بالأمس الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ؟

ويروى أن الشيخ الطيب المهاجي حضر بعض دروس الزيتونة منها درسا في الألفية واعترض على الأستاذ المحاضر في قضية إعرابية فأقره الأستاذ على اعتراضه، كما حضر حلقه درس في أصول الفقه واعترض على الفقيه الأصولي في مسألة تتعلق بالناسخ والمنسوخ فأقر الأستاذ الأصولي بعلمه وسداد رأيه[34]، وكتب جميل صليبا أحد تلاميذ الشيخ الإبراهيمي عن الأيام التي أمضاها معه قائلا":( ... فأعجبنا بسعة علمه وقوة ذاكرته واستقامة منهجه، لأنه كان يملي علينا قصائد البحتري (ت284ه)وأبي تمام (ت231ه)على ظهر القلب من أولها إلى آخرها ويقرب معانيها منا بالتفسير المحكم والشرح الدقيق والتحليل الأدبي الجميل حتى ولدفي نفوسنا حب اللغة العربية وآدابها[35].

وبذكر جميل صليبا حاثة وقعت للإبراهيمي دون أن يعلم بها وذلك في بغداد حين احتفلت الحكومة العراقية بذكرى ابن سيناء(ت427ه)، فقد أجلس الشيخ في المقام الأول مع الوزراء والسفراء، من حيث أجلس المستشرقون العلماء الأوروبيون في الصف الثاني والثالث، فاستاء لذلك المستشرق الفرنسي لوي ماسينيون، وأنبأ جميل صليبا أنه يريد الاحتجاج لدى الحكومة العراقية على تقديم الإبراهيمي عليه[36].

ومما يؤكد هذه القيمة التي كانت للشيخ في المشرق العربي كله أننا نجد مقالة له تتصد ر كتابا كان الكاتب عبد الكريم محمد نشر بعنوان (الكويت المدينة الفاضلة)[37] كما صدر المؤلف كتابه هذا بصورة بارزة للشيخ

الإبراهيمي وهو قائم متوكئ على عصاه ويلقي كلمته أثناء استقبال أقيم لأمير الكويت عبد الله الجابر الصباح، وحضرته شخصيات سياسية ودينية ودبلوماسية ذات مستوى سام .

ويذكر بأن كلمته وصورته سبقتا على كلمة إمام الأزهر وصورته ثم على عبد الوهاب عزام سفير مصر يومئذ بالباكستان، وقد كان يومئذ أمينا عاما للمجمع اللغوي بالقاهرة، ولم يكن هذا الاختيار عفوا وإنما يحمل دلالة عظيمة وتوكيدا خارقا للقيمة التي يتبوأها الشيخ في المشرق.

وإلى جانب المدارس التقليدية المذهبية التي تركت أثرها على جمعية العلماء المسلمين هناك أيضا الاتجاهات الحديثة في التجديد الإسلامي (حركة علماء الشام -مدرسة المنار).

## حركة علماء الشام

ساهمت حركة علماء الشام في توجيه النخبة الجزائرية والأخذ بزمام أمرها حيث كان الاتصالات المستمرة بينهما دور كبير في ذلك، زيادة على كون العديد من العلماء الذين نشطوا بالشام من أصول جزائرية فمن دون شك تكون ثقة النخبة الجزائرية بهم أقوي وعلاقتهم بهم أمتن من غيرهم ومن العلماء الذين ذكرهم ابن باديس وأثني عليهم:

### أ-الشيخ الطاهر الجزائري[38]

من العلماء الفطاحل الذين ضربوا المثل الأعلى في الفضل والعلم والجهاد وقد أثني عليه ابن باديس بقوله :" هو الذي ربي عقلي وهو الذي حبب إلي هذا الاتجاه الفكري منذ كنت طفلا إلى أن صرت رجلا ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشا في ديار الشام إلا كانت له صلة بهذا المربي الأعظم"[39] كما أسهب في الحديث أيضا عن دوره في إحياء الحركة الإصلاحية بالشام وجهاده العظيم في سبل إعادة مجد العربة والإسلام بعبارة تنبئ عن مدى حب وامتنان ابن باديس لشيخه طاهر الجزائري.

### ب-الشيخ محمد الخضر حسين[40]

من العلماء الين كان لهم بالغ الأثر في شخصية ابن باديس و العلماء الجزائريين بصفة عامة وقد زار الجزائر سنة 1327ه - 1905م و ألقى فيها العديد من المحاضرات والدروس ولقي ترحيبا كبير من أهلها ومن جواب العظمة فيه التي ذكرها ابن باديس هي دفاعه عن الإسلام حيث كانت له مواقف أمتن من الفولاذ وأرسخ من الجبال الراسيات[41]، وقد تصدى للرد على مختلف الهجمات التي تعرض لها الإسلام سواء من أعدائه أو من أهله ذلك نذكر رده على كتاب :" الإسلام و أصول الحكم " لعلى عبد الرزاق بكتاب سماه نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، وكتاب " في الشعر الجاهلي " لطه حسين بكتاب سماه نقض كتاب في الشعر الجاهلي.

وقد ظل دائما يدفع عن المغرب العربي ويشيد برجال العلم والكفاح من أبنائه بل ويفاخر الشرق بهم أحيانا كما كان يحمل الشرق مسؤولية عدم مناصريه العملية للحركات التحررية في أقطار المغرب العربية مما يؤدي بعها الى الفشل .

### ج-شكيب ارسلان[42]

مما تجدر الإشارة إليه في حياته هو التفاتته نحو الأمة العربية واهتمامه بقضاياها حيث قدم لها أثمن ما يملكه الإنسان نفسه وماله وفكره، وهو في نظر ابن باديس اكبر مدافع عن العرب والإسلام في الغرب والشرق حيث أطلق أول دعوة للوحدة العربية التي ينظر إليها على أنها تكون إلا بين شعوب مستقلة تسوس من نفسها إما الأمم المغلوبة على أمرها كالأمم المحتلة فهذه لا يمكن أن تكون بينها وحدة، ومن الخير لها أن تعمل كل واحدة منها في دائرة وضعيتها الخاصة على ما يناسبها من الخطط التي تستطيع تنفيذها بالطرق المعقولة مع الشعور التام بالوحدة القومية. [43]

ومن الأدلة التي تزيدنا يقينا عن تأثير شكيب أرسلان في الجزائر والمغرب العربي عموما وهو شهادة أحد المؤرخين الأجانب والتي جاء فيها :

"لقد تسرب روح النهضة العربية عن طريق الكتب والصحافة و الطلاب الذين تخرجوا من الكليات مصر أو سوريا أو الذين تعرفوا في الحي اللاتيني بباريس بزملائهم من الشرق الأدنى وعن طريق أسفار الحجاج أيضا، ولكن الفضل في انتشار المبادئ التوحيدية العربية في المغرب ويرجع قبل كل شيء إلى نفوذ الأمير شكيب أرسلان"[44]

**مدرسة المنار** من المدارس الإصلاحية الأكثر تأثيرا على النخبة وهذا بشهادة ابن باديس نفسه الذي عبر صراحة عن اقتفائه لمنهج محمد رشيد رضا [45]، ومما جاء في قوله "لقد بلغ السيد رشيد رضا من الفقه في الدين والتمكن من علم الكتاب والسنة، والخبرة بأحوال الزمان ما نخال أنها تتاح لأحد من بعده إلا في دهر طويل، لأن الأسباب التي يسرت له لا نراها اليوم مجتمعة في مكان، غير أن هذا لا يمنعنا من الاعتبار بحياته والأسباب التي أتيحت له **لنأخذ بها ولنحث على الأخذ بها**"[46]

هذه أهم المؤثرات المؤثرة في الحركة الإصلاحية الجزائرية والتي أشاد بها الشيخ عبد الحميد بن باديس، فقد استلهمت منها روح التجديد والثورة على الجمود فكانت لها بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس أو الشرارة التي أشعلت النار، وفي ذلك دليل على أن رؤية ابن باديس للتغيير قد جاءت نتيجة للظروف التاريخية التي مرت بها الجزائر ولم تكن مجرد صدى للحركات التجديدية التي عمت العالم الإسلامي.

## الهوامش:

[1] جامع ومسجد كبير بمدينة تونس، يعد ثاني المساجد التي بنيت بإفريقيا بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان ويرجع المؤرخون أن من أمر ببنائه هو حسان بن نعمان عام 79هـ، وقام عبيد الله بن الحباب بإتمام عمارته في 116 هـ ولايزال مؤسسة أو بانيه محل خلاف بين المؤرخين ,وقد تخرج منه آلاف العلماء والمصلحين كابن عرفة ابن خلدون ومحمد النخلي وابن باديس.

انظر : ثريا بن حمد ،مساجد ومعالم(جامع الزيتونة)،مجلة الخبر الإسلامي -نشرية خبرية نصف شهرية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية بتونس -العدد 01، 21 سبتمبر 2012 الموافق ل05 ذو القعدة 1433، ص 04.

[2] من أقدم جامعات العالم الإسلامي، بدأت كمؤسسة تعلمية لجامع القرويين الذي قامت ببنائه السيدة فاطمة بنت محمد الفهري عام 245 هـ /859م في مدينة فاس المغربية ' تخرج منها العديد علماء العرب وقد بقي الجامع والجامعة العلمية الملحقة به مراكزا للنشاط الفكري والثقافي والديني قرابة الألف سنة .

انظر :الحاج أحمد ابن شقرون، أرجوزة من نهر الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون، طبع بأمر من الملك الحسن الثاني، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1414ه-1994م، ص23.

[3] من أشهر المساجد في العالم الإسلامي، أقامه جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ليكون جامعا ومدرسة لتخريج الدعاة الفاطميين ليروجوا للمذهب الإسماعيلي الشيعي الذي كان مذهب الفاطميين، وكان بناؤه في أعقاب فتح مصر في 11شعبان سنة 350هـ 969م حيث وضع أساس جامع الأزهر في 14شعبان سنة 359هـ 970م.

انظر: د/ عبد المنعم خفاجي، علي صبح الأزهر في ألف عام المكتبة الأزهرية للتراث (القاهرة)، ط03،2011م ج01، ص11.

[4] ايرلبولياس . جيمس يونغ، المعلم امة في واحد، تعريب ايلي واريل , منشورات دار الافاق الجديدة بيروت دط. د. ت. ص 132 .

[5] د/رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس، رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، ص165.

[6] الشهاب،ج05مجلد13،جويلية 1937.

[7] محمد ابراهيم الطيب المعروف بالطيب المهاجي فقيه ولغوي ومؤرخ جزائري، أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.(1882م-1969)

انظر: عمار طالبي، ، آثار ابن باديس، ج4 ص315.

[8] الطيب المهاجي، أنفس الذخائر وأطيب المآثر فيما اتفق لي في الماضي والحاضر، الشركة الجزائرية للطبع والورق وهران 1965م نقلا عن د/عبد الملك مرتاض الثقافة العربية في الجزائر بين التأثر والتأثير , ص33.

[9] هو محمد بن محمد بن حمودة النخلي القيرواني، ولد سنة 1286هـ1869م ولما بلغ الخامس من عمره التحق بكتّاب عمه الشيخ محمد بن رمضان لحفظ القران الكريم بأكمله وبعض متون النحو والفقه كالأجرومية وابن عشر كما تتلمذ على كبار المدرسين في ذلك العصر اشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة ابتداء من 1891 م وقد كان له نشاط ثقافي مكثف حث كان عضوا بارزا في الجمعية الخلدونية , المدرسة الصادقية , الجمعية الزيتونة توفي يوم 11رجب سنة 1342هـ 16فيفري 1924م.

انظر : آثار الشيخ محمد النخلي (1869هـ-1924م) سيرة ذاتية وأفكار إصلاحية , جميع وتقديم عبد المنعم النخلي، تحقيق ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي , ط1 1995، ص30.

[10] محمد النخلي القيراواني (مقال) بقلم محمد محفوظ , نقلا عن المرجع السابق، ص30.

[11] محمد أنور بوسنينة، الشيخ محمد النخلي رائد النهضة الفكرية جامع الزيتونة , جريدة الصباح التونسية , 04 جانفي 1980نقلاعن اثار الشيخ النخلي، ص30 .

[12] د/ عمار طالبي , مرجع سابق، ج01 , ص 75.

[13] محمد الطاهر بن عاشور من أساتذة جامع الزيتونة بتونس، شغل منصب عميد مجلس الشورة المالكي بتونس كما تولى القضاء سنة 1913م، من أهم مؤلفاته تفسير التحرير والتنوير، توفي سنة 1937م.

[14] أحمد الطويل، محمد الطاهر ابن عاشور في تآليفه الأدبية، نقلا عن كتاب العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور واسهامه في تجديد الفكر الديني ط1 اكتوبر 1996، ص217.

[15] د/ عمار الطالبي اثار ابن باديس ،ج 1 ،ص75 .

[16] نفس المرجع السابق.

[17] وداد القاضي , أثر التجربة الزيتونة في فكر عيد الحميد ابن باديس، مجلة الفكر العربي، عدد20تونس افريل 1961 ص74.

[18] ولد في قرية (أولاد خليفة ) بالقرب من مدينة ميلة سن 1912 في عائلة دينية محترمة، أو ل محطاته في التدريس بعد أن أتم حفظ القرءان في زاوية(سيدي عمر الشريف )بالقبائل الكبرى فتتلمذ في هذه الزاوية وأخذ منها من العلوم ما أهله للانخراط في أحد المدارس الثانوية، هاجر إلى تونس والتحق بجامع الزيتونة لكنه ما لبث أن غير وجهته فقصد فاس بالمغرب الأقصى وانخرط في سلك تلامذة جامع القيروان فمكث فيه ثماني سنوات بين الجد والاجتهاد حتى حصل على درجة في العلوم خولته الفوز بين أقرانه، ثم عاد الى الجزائر وأدى دورا فعالا في جمعية العلماء وبعد الاستقلال، شغل عدة مناصب مهم منها سفير في جدة مستشار لدى رئاسة الجمهورية إمام بمسجد باريس توفي 03 ماي 1983م.

للمزيد : انظر محمد الحسن فضلاء: من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج 02. ص71.

[19] الطيب المهاجي، المصدر السابق ،نقلا عن د/ عبد المالك مرتاض ص 19.

[20] انظر بعزيز بن عمر، الطيب المهاجي , المصدر السابق ,نقلا عن د/ عبد المالك مرتاض، ص34.

[21] لشيخ حمزة شنوف المعروف بحمزة بوكوشة الصحفي والأديب الجزائري ولد عام 1909 في واد سوف بالجزائر، وله العديد من المؤلفات والكتب . وتوفي عام 1994.

موسوعة الشعر الجزائري، مجموعة أساتذة من جامعة منتوري، دار الهدى، الجزائر، 2002، الجزء الأول، ص 147.

[22] البصائر الثانية , عدد 12,31 أفريل 1948 ,ص03.

[23] الشهاب , ج 07 , مجلة 13 ,ص412.

[24] د/ عمار الطالبي , اثار ابن باديس ,ج04,ص145.

[25] **الفضيل الورتيلاني** (1959–1900) من أبرز أعلام الحركة الإسلامية في الجزائر الذين كان له دور مهم وفاعل في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة1931 ، حيث كان من اقرب الشخصيات للامام عبد الحميد بن باديس والإمام البشير الإبراهيمي رحمهما الله ،وساهم مساهمة فعالة في التمكين لمباديء الجمعية في الجزائر ثم في فرنسا في صفوف العمال الجزائريين هناك.

ثم كان همزة الوصل القوية بين الفكر الإخواني وجمعية العلماء، بحيث انضم إلى جماعة الإخوان لما استقر في مصر وأصبح من أقرب المقربين للامام الشهيد حسن البنا رحمه الله وكان محل ثقته، إذ كان ينوبه أحيانا في درس الثلاثاء وكلفه بالإشراف على فتح بعض شعب الجماعة في مصر كما كلف بملف اليمن، وقد جمعت بعض مقالاته في كتاب بعنوان الجزائر الثائرة.

انظر:آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج2، ص328..

[26] انظر باعزيز بن عمر , الأستاذ الفضيل الورتلاني البصائر الثانية , عدد 08 1947 م ص 03 -04.

[27] ) د/ أحمد عيساوي منارات من شهاب البصائر العربي بن بلقاسم التبسي ص42.

[28] ولد رحمه ببلدة المطيعة مركز اسيوط سنة 1271هـ الموافق سنة 1856م . ذهب الى كتاب بلدة وتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرن الكريم كله، ثم التحق بالأزهر الشريف في عام 1282هـ وكان حنفي المذهب وتتلمذ على كبار الشيوخ في الأزهر وخارجه، وكان منهم السيد " جمال الدين الافغاني " والشيخ " حسين الطويل ... الخ. نال شهادة العالمية من الدرجة الأولى في أواخر عام 1292 هـ. مناصبه في سنة 1295 هـ اشتغل بتدريس علوم الفقه والتوحيد والمنطق إلى أن عين قاضيا في سنة 1297 واستمر يترقى في سلك القضاه، عين مفتيا للديار المصرية واستمر يشغل هذا المنصب حتى 16 شوال 1338 هـ وأصدر خلالها (2028) فتوى . من مؤلفاته : ارشاد الأمة الى أحكام أهل الذمة , حسن البيان في دفع ما ورد من السنة على القرءان الأجوبة المصرية عن الأسئلة التونسية، القول المفيد في علم التوحيد

انظر: الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين ط15 2002م، ج06، ص50.

[29] كما أن الإجازة تعني اعتراف من الأستاذ لتلميذ بمكانته العلمية فإنها تعني اعتراف التلميذ باستقامة أستاذه وضرورة السير على منهجه.

[30] د/ عمار الطالبي , آثار ابن باديس ج 04 , ص212.

[31] محمد بخيت المطيعي، تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد، 1392ه-1986م، ص05.

[32] د/ عمار الطالبي , آثار ابن باديس ج01، ص80.

[33] ) د/ عبد المالك مرتاض, المرجع السابق , ص .80

[34] ) الطيب المهاجي، المصدر السابق ص89 , نقلا عن د/ عبد المالك مرتاض , ص33.

[35] جميل صليبا في ذكرى الإبراهيمي، مجلة الثقافة عدد 8- 9 1972 ص100.

[36] المرجع نفسه.

[37].عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص82.

[38] ولد في دمشق 1263 هـ - 1852 تضلع في سائر العلوم والمعارف , قام بعمل جبار إلا وهو تأسيس أول مكتبة عامة للمخطوطات في دمشق توفي عام 1920م.من أهم آثاره توجيه النظر إلى أصول الأثر تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

انظر : حازم محي الدين , الشيخ طاهر الجزائر , رائد التجديد الديني في بلاد الشام , دار القلم دمشق ط12001م ص48.

[39] د/ عمار طالبي مرجع سابق ج 04, ص148.

[40] من أصل جزائري، ولد سنة 1293 هـ تنقل بين تونس والشام ومصر , من اجل العلم والدعوة , وتوفي عام 1377هـ

[41] د/ عمار طالبي , مرجع سابق ج04 ص 149.وانظرأبو قاسم محمد كرو, محمد الخضر حسين , دار المغرب , تونس ط 1 1973 ،ص 12.

[42] ولد سنة 1869 في لبنان وقد أصبح من ابرز الأدباء المؤرخين والسياسيين لجيل النهضة الثاني أمثال "مصطفى كمال وطاهر الجزائري و أمين الريحاني ومحمد رشيد رضا وامتاز عن رجالات جيله بتعدد موهبة وتداخل نشاطاته حيث كتب وترجم في الشعر الأدب والتاريخ والدين وتوفي 1946م.

انظر : سامي الدهان، أمير البيان شكيب أرسلان، دار المعارف مصر (القاهرة) 1830ه-1960م، ص11.

[43] د/ عمار طالبي , مرجع سابق ج03 , ص 398.

[44] شارل اندريه جوليان, إفريقيا الشمالية تسير , د.ط، د.ت، ص32.

[45] أحد أعلام الإصلاح الإسلامي، ولد نشأ في قرية القلمون بلبنان، رحل إلى مصر سنة 1315ه فاتصل بالإمام محمد عبده وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، وأصدر مجلة المنار، من أهم آثاره تفسير القرآن الكريم، طبع منه اثنا عشرة مجلدا ولم يكمله، تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده، حقوق النساء في الإسلام....الخ

انظر :أنور الجندي – أعلام وأصحاب أقلام – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – ص08.

[46] د/ عمار طالبي، مرجع سابق، ص 201.